

الرَّسَالَةُ ١٨

المَحَبَّةُ وَعَظَمَتُهَا!

(Arabic - The greatness of love!)

أحبائي.. مَوْضُوعُ حَدِيثِنَا الْيَوْمَ عَنِ: المَحَبَّةِ وَعَظَمَتِهَا!

ومن رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمني كورنثوس الأصحاح الثالث عشرَ نقرأ العددَ الثالثَ عشرَ:

"أَمَّا الْآنَ فَيَثْبُتُ الْإِيمَانُ وَالرَّجَاءُ وَالْمَحَبَّةُ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ.. وَلَكِنْ أَعْظَمُهُنَّ المَحَبَّةُ".^١

ونقرأ من سفر نشيد الأنشاد الأصحاح الثامن العدد السابع:

"إِنْ أَعْطَى الْإِنْسَانُ كُلَّ ثَرْوَةٍ بَيْتَهُ بَدَلَ المَحَبَّةِ تَحْتَقِرُ احْتِقَارًا."

ونقرأ من رسالة يوحنا الرسول الأولى الأصحاح الرابع العدد الثامن:

"وَمَنْ لَا يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ لِأَنَّ اللَّهَ مَحَبَّةٌ."

تَحْضُرُنِي قِصَّةُ حِكَايَا لِي أَحَدُ الشَّبَابِ.. كَانَ أَبُوهُ يُحِبُّهُ حُبًّا جَمًّا إِذْ أَتَاهُ كَانَ وَحِيدَهُ.. وَكَانَ عِنْدَ أَبِيهِ وَأَمَّهُ بِمَثَابَةِ الْأَمَلِ الْمَشْرُوقِ فِي حَيَاتِهِمَا.. وَكَانُوا يَعْشُونَ فِي جَوْ عَائِلِي مَفْعَمٌ بِالمَحَبَّةِ.. تَغْمِرُهُمُ السَّعَادَةُ مَعَ السَّلَامِ وَالرِّضَا الْكَامِلِ.. وَحَدَّثَ أَنَّهُمَا كَانَا يَسْتَعِدَّانِ لِلْإِحْتِفَالِ بِمُنَاسِبَةِ عِيدِ مِيلَادِ ابْنِهِمَا.. وَهَذَا حَدِيثُ الشَّبَابِ لِي إِذْ قَالَ: فَسَأَلَنِي وَالِدِي كَيْ أختَارَ نَفْسِي هَدِيَّةَ عِيدِ مِيلَادِي.. وَلَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أُجِيزَ أَبِي فِي امْتِحَانِ لاختبار محبته لي.. فَأَجِبتُ وَالِدِي: اسْمَحْ لِي أَبِي أَنْ أختَارَ الهَدِيَّةَ أَثناءَ الإحتفالِ بعيدِ ميلادِي وليس قبله.. وسألتني والدتي نفس السؤال فحددت لها الهدية التي أفضلها.. واشترت والدتي ما اخترت من أجود الأنواع وأتمنها.. واحتفظت بها لتقديمها لي أثناء الإحتفال بهذه المناسبة.. وفي يوم عيد ميلادِي قام والدِي ووالدتي وبعضُ أحبائي بإقامة الزينات في منزلنا. واستمتعنا بوقتٍ طيبٍ مع الأقرباء والأصدقاء. وتناولنا معا أنواعا شهية من الحلوى والشراب التي أعدتها والدتي. ولقد غمرني الجميع بفيض من التهاني. وأغدقوا علي من صادق محبتهم الكثير مما جعلني مسرورا غاية السرور.

تَقَبَلْتُ الهَدَايَا وَكَنتُ سَعِيدًا بِهَا. وَكَانَتْ هَدِيَّةُ وَالِدِي مِنْ أروع الهدايا. فقد كانت تنتهز فرصة عيد ميلادِي لتعبرَ بأقصى ما تستطيع عما يفيضُ به قلبها من حُبٍّ وإعزازٍ لي. وجاء دورُ والدِي فسألني: يا بُنَيَّ كَنتُ أودَّ أَنْ أشتريَ لَكَ هَدِيَّةً ثَمِينَةً تعبرُ عَن حَبِّي العميقِ لَكَ فَأَنتِ وحيدِي وليس لي مَنْ يُسعدُ قَلْبِي مثلكِ ولكنك رَفَضْتِ.. مُعللاً بِأَنَّكَ ستسألني الهدية أثناء الحفل.. ولكنني في حيرة.. كيف يتيسرُ لي شراءَ الهدية ونحنُ مُجمَعُونَ الْآنَ؟.. اسألني يا بُنَيَّ فليس ما يبهجُ قَلْبِي أكثرُ مِنْ تلبية طلبك.. فقلتُ لأبي: إِنَّ الهَدِيَّةَ التي أرجوها لا تشتريَ بمالٍ.. فهل تسمَحُ لي أَبِي أَنْ أطلبها مِنْكَ؟.. فقال: أَسْمَحُ يا بُنَيَّ.. فقلتُ: إِنَّ ما أرجوه مِنْكَ يا أَبِي في عيدِ ميلادِي كهديةٍ لي سيعبرُ بصدقٍ عَن حُبِّكَ لي وإتي أثقُ أَنَّكَ ستلبِّي طلبِي وسيكون هذا أعظم دليلٍ علي حُبِّكَ لي وذلك لا أشكُ فيه.

قالَ لي وَالِدِي: اطلبِ يا بُنَيَّ.. قلتُ: أرجوكِ أَبِي أَنْ تَعِدْنِي بِالْأَنْ تلمسُ شفتاكِ سِجَارَةَ بَعْدَ الْيَوْمِ.. وَلَا يَتصَاعَدُ مِنَ الْآنَ دُخَانٌ مِنْ صَدْرِكَ.. فَصَدْرُكَ أَبِي يحوي قلباً كبيراً يحتوي علي.. ويؤلمني أَنْ يَسْتَقْبَلَ صَدْرُكَ أَنفَاساً قَاتِلَةً.. وَأَتَمَنَّى أَبِي أَنْ تَكُونَ هَذِهِ اللَّحْظَةَ هِيَ الْأَخِيرَةَ التي أراكِ فيها مُدَحَّنًا يَا وَالِدِي.. صَمَتَ أَبِي لِحْظَةً.. وَسَادَ الصَّمْتُ جَمِيعَ الْحَاضِرِينَ.. ثُمَّ قَالَ أَبِي: هَذِهِ هَدِيَّتِي يَا بُنَيَّ.. ثُمَّ أخرجَ "علبةَ السجائرِ مِنْ جيبِهِ ودَاسَهَا بِقَدَمَيْهِ".. بَعْدَهَا احتواني بذراعيه وقبَّلَ جبينِي.. وَجَاءَتْ أُمِّي مُسرعةً تَحْتَضِنُني أَبِي ثُمَّ تَحْتَضِنُنِي وَجَمِيعَ الْأَقْرَبَاءِ وَالْأَصْدِقَاءِ وَالزُّمَلَاءِ الَّذِينَ لَبُّوا دَعْوَتَنَا لِحُضُورِ ذَلِكَ الْحَفْلِ الَّذِي كَانَ بِمُنَاسِبَةِ عِيدِ مِيلَادِي.. احتضنوا أَبِي وَأخذوا يُصَفِّقُونَ وَيُهَلِّلُونَ فَرحينَ مُسرورين.. فلقد كانت مفاجأةً أُنِّي عليها الجَمِيعُ وأبدوا مشاعرهم الرقيقة الطيبة.

أخي القارئ العزيز .. لقد كان ذلك الشاب يَعْلَمُ أَنَّهُ لو طلبَ من أبيه أن يشتريَ له سيارةَ حديثة الصنع غير التي يمتلكها.. ما توانى الأب في تحقيق أمنية ابنه.. ولكن الابن رأى أن تمتعَ أبيه بصحةٍ جيدةٍ بعيداً عن مخاطر التدخين.. أسمى أمنية تسعدهُ وتسعدُ باقي أفراد الأسرة كذلك.. كما أنه رأى أن الهدية ليس قيمتها بما تكلف من مال.. بل بما تكلف من يُقدِّمها من تضحية.. والمحبة في عظمتها.. الصادقة في تعبيرها.. هي المحبة المضحية. لقد كتب سليمان الحكيم في نشيده يقول: "إن أعطى الإنسان كل ثروة بيته بدل المحبة تحقر احتقاراً".^١

إن كان التدخين خطراً لأنه يدمرُ صحة البشر فيوجدُ ما هو أخطرُ الذي عاقبته العذابُ الأبديُّ.. قال الحكيمُ في أمثاله: "توجد طريق تظهر للإنسان مستقيمة وعاقبتها طرق الموت". فمن يفتقرُ خطيةً واحدةً ويتمسكُ بممارستها ولا يعترفُ بذنبه ويطلبُ الخلاصَ كافية لحرمانه من النعيم الأبدي.. إذ مكتوب: "من عثر في واحدة فقد صار مجرماً في الكل" .. ولكن يوجد رجاء! إذ مكتوب أيضاً: "أن دم يسوع المسيح يطهرنا من كل خطية".^٢

ولكن كيف ننجو أخي من العذاب الأبدي في الجحيم؟. الإجابة: لو أطعنا الوصية العظمى. أتعلم أخي ما الوصية العظمى؟. هي أن: "تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك وقريبك مثل نفسك" .. عظمة المحبة في أنها مفتاح السعادة الأبدية.. ليس عسيراً أن تحب الرب إلهك.. هذا إذا أدركت عظمة محبته لك.. فيوحنا الرسول يقول: "نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً". أخي.. قد يكون متعذراً في عجالة قصيرة أن أعبر عن محبة الله وعظمتها. فليست لأنه يقدم لنا احتياجات الجسد وحسب. بل لأنه قدم أتمن عطية لك ولي. لقد سدّد ديناً فادحاً يستحيل على مخلوق بشري أو غير بشري وفاؤه. هذا كان بسفك دم ابن الله على الصليب من أجل خلاصنا من العذاب الأبدي.. ولينال السعادة الأبدية في فردوس النعيم.. أوليس هذا هو الحب الأعظم؟!^٣

سألت أحدهم يوماً: لماذا اعتنقت المسيحية؟. أجابني بقوله: علموني منذ حدثتني أشياء كثيرة عن الله. وعن أسمائه الحسنى.. ولكن في كل ما علموني إياه لا شيء عن محبة الله.. كأن الذي نعبد إله بلا قلب ينبض بالمحبة.. ولكن أول ما اكتشفته في المسيحية.. أن الله محبة. فيوحنا الرسول يقول: "ومن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة". فانا الآن أعيش في دائرة محبته العظمى. عزيزي: اقرأ الإنجيل ستلمس فيه محبة الله. وإن لمست محبة الله سوف تحبه كما أحبك.. وهذا يكفيك لتحصل على كل امتيازات أولاد الله وما أعدّه الله للذين يحبونه.^٤

ليست العبرة بما تعرفه في الكتاب المقدس ولا بكثرة ما تحفظ منه.. فربما كنت أستاذاً ضليعاً قادراً على شرح الكتاب المقدس ولك الأبحاث والمؤلفات التي يعتبرها الدارسون مراجع قيّمة لهم.. ولكنك إن كنت تعاني نقصاً في المحبة.. فقد "صرت نحاساً يطن أوصنجاً يرن" .. سمعت يوماً قصة عن أم كانت تعيش مع ابنها البالغ من العمر الخامسة والثلاثين.. جاءته صباح يوم أحد مبكراً لتوقظه قائلة: قم يا بني واستعد للذهاب إلى الكنيسة.. أجابها بقوله: يا أمه لست أشعر برغبة تدفعني للذهاب إلى الكنيسة.. فأجابته: قم يا بني من فضلك.. لأنه لا بد من ذهابك إلى الكنيسة.. أجابها: أمه لست أحب أحداً في هذه الكنيسة.. فأجابته: قم يا بني فلا بد من ذهابك.. فقال: أمه! ليس هناك من يحبني في هذه الكنيسة.. فأجابته: يا بني! أرى أنه لا بد من ذهابك إلى الكنيسة.. فسألها: أمه لماذا ترغميني على الذهاب؟. فأجابته: لست أرغمك! أنسيت يا بني أنك أنت راعي هذه الكنيسة وواعظها!^٥

لينك أخي تشترك معي في تلك الصلاة: أبانا السماوي.. أشكرُك لأن حبك أدركني لينتشلني ويعطيني حياة وهدفاً ومعنى.. أسألك لتخلق في قلبي جديداً.. قلباً يفيض بالحب العميق لشخصك يا من أحببتني فضلاً.. وأملأ ذلك القلب بحب من نوع حبك.. حباً مقروناً بالضحية.. لأحيا لك مُتمماً إرادتك عاملاً مشينتك.. أرفع صلواتي في اسم من أحبني باذلاً دمه الطاهر من أجلي.. واثقا في وعدك الصادق يا من قلت: من يقبل إلي لا أخرجهُ خارجاً.

أخي القارئ العزيز .. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ سفر نشيد الأنشاد ٨ : ٧

^٢ سفر الأمثال ١٦ : ٢٥ ، رسالة يعقوب ٢ : ١٠ ، رسالة يوحنا الرسول الأولى ١ : ١-٦-٩

^٣ إنجيل لوقا ١٠ : ٢٧ ، رسالة يوحنا الرسول الأولى ٤ : ١٩

^٤ رسالة يوحنا الرسول الأولى ٤ : ٨ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى غلاطية ٣ : ٢٦ ، الأولى إلى مؤمنى كورنثوس ٢ : ٩

^٥ رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمنى كورنثوس ١٣ : ١